نظرية التعبير

ظهرت نظرية التعبير انسجاما وتلك التغيرات الجذرية التي هزت الأبنية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية في المجتمع الأوروبي خلال القرن الثامن عشر والتي ارتبطت بالبرجوازية وعبرت عن قيمها وطموحاتها التي تمحورت حول الفرد ومفاهيم الفردية.

وقد ظهرت فلسفة جديدة هي الفلسفة المثالية الذاتية التي ترى أن الوجود الأولي للذات أو الوعي الإنساني، ويعد كل من كانط (1724) وهيجل (1770-1831) المنظر الفلسفي للبرجوازية الفردية وواضعي الأسس الفلسفية لنظرية التعبير، وقد فصل كانط بين المعرفة الحسية والمعرفة العقلية مثلما اعتبر الشعور طريق المعرفة الحقيقية، أما هيجل فقد رأى أن مصدر الفن هو الخبرة الخاصة، وماهية الفن مظهر حسي للحقيقة، والفيلسوفان يهتمان أساسا بالمشاعر والخيال، فكانط يرى أن طريق المعرفة الحقيقية هو الشعور وهيجل يرى أن الفن إدراك خاص للحقيقة، وأن أداة هذا الادراك هو الخيال.

وقد استندت نظرية التعبير على هذه الفلسفة وتمثلت خطواتها العامة بما يلي:

الأدب تعبير عن الذات، أي تعبير عن العواطف والمشاعر، والأدب علم المشاعر والأحاسيس، والقلب هو موضع الحقيقة لا العقل، أما مهمة الأدب ووظيفته فإنها تتمثل في إثارة الانفعالات والعواطف.

وقد اهتمت نظرية التعبير بالأديب الشاعر أكثر من الأسلوب أو الشكل، ورأت بأن الأديب يعيد خلق الحياة من خلال رؤيته الخاصة.

مثلما اهتم أصحاب هذه النظرية ببيان قيمة الطبيعة إلى حد التقديس، فكولريدج يعتبرها أعظم الشعراء جميعا، ووليم ووردزورث يرى أنها ببساطتها الأقدر على الوحي من أي شيء آخر، وقد أثر هؤلاء في مسار الأدب والنقد الأوروبي والعالمي.

آثار نظرية التعبير:

كان لنظرية التعبير آثارا هامة في مسار الأدب والنقد يمكن تلخيصها في الآتي:

1. قوة العلاقة بين الأدب والسيرة: فالأدب نتاج الفرد، والشاعر يكتب عن نفسه ومشاعره، مما أوجد الأدب السير ذاتي أو البيوغرافي.
2. العلاقة بين الأدب وعلم النفس: إذ ظهرت الدراسات التي تربط الأدب بعلم النفس وحاولت كشف العالم الداخلي للإنسان، وقد ربطت بين إنتاج الأدب والموهبة الفردية واللاشعور الفردي والجمعي.